درء خطر المجاعة في الإسلام
الوقاية والعلاج

د. رحاب رفعت فوزي عبد المطلب
أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد
بكلية البنات – جامعة عين شمس

ملخص البحث

يدور البحث حول مشكلة من أهم وأخطر المشكلات التي تهدد العديد من بلدان العالم، وخاصة العالم الإسلامي ألا وهي مشكلة المجاعة.

وقد قام هذا البحث ليبين كيف درأ الإسلام خطر المجاعة، والوسائل التي اتخذها لذلك.

وقد توصل البحث إلى ثلاث وسائل تتضمن الوقاية من المجاعة قبل حدوثها بالإضافة إلى درئها عند حدوثها؛ وذلك عن طريق التخطيط الاقتصادي، والتكافل الاجتماعي، وإباحة المحظورات.

الملخص باللغة الإنجليزية

The research revolves around one of the impotance and dangerous problems which threaten many of world countries, especially Islamic world, it is “Famine problem”.

The research shows how to fet rid of famine danger, and means to do that.

The research find 3 means included protection from famine before they occur. These means are:

1- Economic planning.

2- Social solidarity.

3- Permission of prohibited.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

تعد المجاعة واحدة من أخطر وأشد المشكلات التي تهدد العديد من بلدان العالم، خاصة العالم الإسلامي، حيث أدت إلى ارتفاع معدلات الوفيات والأوبئة.

فاندلاع الحروب والصراعات، والكوارث الطبيعية، والفقر الشديد، وضعف البنية التحتية الزراعية، والأزمات المالية والاقتصادية دفعت بالعديد من الأشخاص حول العالم للوقوع في شَرَك الجوع.

ولعل المطلع على الأرقام المهولة والمفزعة التي تصدرها تقارير منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو) حول المجاعة والفقر يدرك مدى الخطر الذي تتعرض له الشعوب التي تعاني من المجاعة.

فقد أكد المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو) في افتتاح مجلس المنظمة المنعقد في إبريل ٢٠١٧م على ضرورة التحرك العاجل لإنقاذ ملايين الأشخاص الذين يواجهون خطر المجاعة في شمال شرق نيجيريا والصومال وجنوب السودان، واليمن.

وحذر في كلمته الافتتاحية من أنه: «إذا لم يتم التحرك فإن نحو ٢٠ مليون شخص مهددون بالموت جوعًا خلال الأشهر الست المقبلة» مضيفًا أن المجاعة لا تقضي على الناس وحسب؛ بل إنها تزيد من حالة عدم الاستقرار الاجتماعي وتطيل دائرة الفقر والاعتماد على المساعدات لعقود[١].

ونظرًا لخطورة هذه المشكلة والكارثة الإنسانية فقد قام هذا البحث ليبين كيف درء الإسلام خطر

[١] موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو) http://www.fao.org

المجاعة، والوسائل التي اتخذها لذلك، إذ إن من أهم أهدافه ومقاصده حفظ النفس وحمايتها من الهلاك.

الدراسات السابقة:

ولم أجد – في حدود علمي – دراسة علمية في موضوع بحثي «درء خطر المجاعة في الإسلام» حتى المقالات المنشورة على شبكة الإنترنت والتي تتحدث عن الجوع والمجاعة لم تتعرض لكيفية معالجة الإسلام لهذه المشكلة، لا من قريب ولا من بعيد، بل هي تتحدث عن تاريخ المجاعات وأسبابها، ومواطنها في العالم، وتشير إلى بعض الإحصائيات والتقارير للمنظمات الإنسانية، ومن هذه المقالات:

١- مقال بعنوان: «المجاعة في أفريقيا» الأسباب الحقيقية.

إعداد: أمير طاهري. جريدة الشرق الأوسط، الاثنين ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٤هـ-١٦ يونيو ٢٠٠٣م، العدد ٨٩٦٦.

٢- ومقال بعنوان: «القضاء على أسباب الجوع... وليس تقديم المعونات فقط» إعداد سائد الراشد. جريدة الثورة تصدر عن مؤسسة الصحافة للطباعة والنشر، الخميس ٢٠١١/٧/٢٨م.

٣- ومقال بعنوان: «الجوع في إفريقيا مشكلة تبحث عن حلول». في جريدة الدستور، الاثنين ١٧ فبراير ٢٠١٤م.

صعوبات البحث:

من الصعوبات التي واجهتني أثناء قيامي بهذا البحث هي:

١- عدم تعرض كتب الفقه للحديث عن المجاعة بشكل رئيس وكباب مستقل من أبواب الفقه: حيث جاء الحديث عنها في أبواب متفرقة منها، وذلك ضمن الحديث عما يباح للمضطر كحل أكل الميتة وغيرها من أنواع المحرمات التي تحل في أوقات الضرورة.

وكان هذا بدوره يتصل بدرء خطر المجاعة عن طريق إباحة المحظورات والتي خصصت لها الفصل

الثالث.

٢- أما فيما يتصل بدرئها والوقاية منها عن طريق وسائل أخرى فلم أجد ذلك في كتب الفقه، مما اضطرني إلى البحث عن مصادر أخرى لأجد فيها ضالتي، فهداني الله عز وجل بعد جهد وبحث إلى أن أقرأ في كتب الاقتصاد والتخطيط الاقتصادي في الإسلام، وكتب التكافل الاجتماعي في الإسلام، بالإضافة إلى كتب التفسير وكتب السنة لجمع الأدلة.

وبذلك استطعت بفضل الله أن أجد حلولًا للوقاية منها قبل حدوثها – بالإضافة إلى درئها عند حدوثها – وذلك عن طريق التخطيط الاقتصادي والتكافل الاجتماعي مما جعلني أقدم – بفضل الله – شيئًا جديدًا في هذا الشأن.

٣- أيضًا من الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث صعوبة الوصول إلى تقارير وإحصائيات عن المجاعة وعدد الجوعى في العالم من مصادرها الأصلية وليس من مراجع وسيطة كالصحف والمجلات وغيرها.

فذهبت أبحث على شبكة الإنترنت عن مواقع المنظمات والهيئات التي تعمل في مجال الإغاثة الإنسانية وعلى رأسها منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو) لأطلع على أحدث التقارير والإحصائيات التي تتحدث عن المجاعة وعدد الجوعى في العالم.

خاصة أن هذه التقارير وتلك الإحصائيات تختلف كل عام، وفي اتجاه تصاعدي نتيجة لزيادة أماكن المجاعات وعدد الجوعى حول العالم.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصْفي: القائم على الاستقراء والتحليل، وذلك باستقراء كتب التفسير والفقه وكذلك كتب السنة لجمع الأدلة بالإضافة إلى كتب الاقتصاد والتخطيط الاقتصادي في الإسلام، والتكافل الاجتماعي لجمع ما يتصل بموضوع بحثي.

كما اعتمدت على المنهج التحليلي، لتحليل موضوعات البحث وربطها بواقعنا المعاصر، وبيان كيف عالج الإسلام مشكلة المجاعة.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: وقد اشتملت على أسباب اختيار الموضوع وأهميته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

أما **التمهيد**: فقد عرفت فيه بالخطر والمجاعة، وبينت أسبابها، والآثار المترتبة عليها.

أما الفصول فقد جاءت على النحو التالي:

الفصل الأول: درء خطر المجاعة بالتخطيط الاقتصادي في الإسلام ويشتمل على أربعة مباحث.

المبحث الأول: مفهوم التخطيط الاقتصادي وأهميته ونماذجه في الإسلام.

المبحث الثاني: وضع خطة اقتصادية.

المبحث الثالث: تحقيق الأمن الغذائي.

المبحث الرابع: تحقيق العدالة في التوزيع.

الفصل الثاني: درء خطر المجاعة بالتكافل الاجتماعي في الإسلام، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التكافل الاجتماعي وأهميته وصوره في الإسلام.

المبحث الثاني: مسئولية الفرد والدولة في التكافل الاجتماعي.

المبحث الثالث: كيفية التكافل الاجتماعي في الإسلام.

الفصل الثالث: درء خطر المجاعة بإباحة المحظورات، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الضرورة وضوابطها.

المبحث الثاني: ما يستباح من المحرمات في المجاعة ومقداره.

أما الخاتمة فقد اشتملت على أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

وأسأل الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل، وأن يرفع به درجاتي، وأنا يتجاوز عن سيئاتي، إنه سميع مجيب الدعاء.

التمهيد:

أولًا: تعريف الخطر.

لغة: الخطر بفتحتين في اللغة: الإشراف على الهلاك، وخوف التلف، ويقال: هذا أمر خطر أي متردد بين أن يوجد وأن لا يوجد[١].

اصطلاحًا: لا يخرج الخطر في الاصطلاح عن المعنى اللغوي.

ثانيًا: تعريف المجاعة.

لغة: المجاعة في اللغة من الجوع، وهو نقيض الشبع، والمجاعة: عام الجوع والجدب[٢].

اصطلاحًا: لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

ثالثًا: أسباب المجاعة:

ترجع أسباب المجاعة إلى عدة عوامل أهمها[٣]:

١- الجفاف والفيضانات والأعاصير وغزو الجراد والآفات الضارة، والأمراض التي تصيب المحاصيل.

٢- وغياب الاستثمار في مجال الزراعة، وسوء إدارة الموارد الطبيعية.

٣- غير أن أكثر الأسباب شيوعًا الحروب التي تنشب، وتؤثر على توزيع المحاصيل، والمواد الغذائية

---

[١] انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت: ٧٧٠هـ)، المكتبة العربية، بيروت. مادة: خطر.

والكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت. مادة: خطر.

[٢] انظر المصباح المنير: مادة: جوع.

[٣] انظر «الجوع في إفريقيا مشكلة تبحث عن حلول» جريدة الدستور، الاثنين ١٧ فبراير ٢٠١٤م http://www.dostor.org

جراء اللجوء لأساليب الحصار، وتدمير طرق النقل والشاحنات، كما تشكل الحروب أكثر العوامل المؤدية إلى توسيع دائرة الجوع، فمنذ عام ١٩٩٢م تضاعفت الأزمات الغذائية حيث ارتفعت من ١٥٪ إلى أكثر من ٣٥٪.

٤- كما ترجع ظاهرة الجوع بالأساس إلى ارتفاع أسعار الغذاء، وعدم قدرة الفقراء على شرائه، وارتفاع أسعار الغذاء يعود في جزء ملحوظ منه لتنامي الاعتماد في أوربا وأمريكا على الوقود الحيوي الذي يعني تحويل الأراضي الزراعية من إنتاج الغذاء إلى إنتاج محاصيل يستخلص منها الوقود.

٥- ومما يفاقم مشكلة الجوع، ويزيد من وتيرتها سوء إدارة الحكم، وانعدام الأمن والافتقار إلى البنية التحتية الضرورية والتعليم الجيد، ولقد ظل الفقر المدقع، وسوء التغذية، ومعدل الوفيات المرتفع لاسيما وسط الأطفال هي السمات الغالبة في كل المجاعات.

رابعًا: الآثار المترتبة على المجاعة:

تترتب على حدوث المجاعات آثار سيئة، ومن أبرز هذه الآثار[١]:

١- الموت والمرض.

كلاهما من الآثار السيئة والمباشرة للمجاعة، فالأفراد الذين ينقصهم الطعام الكافي يفقدون وزْنهم ويصيبهم الهزال الشديد، وكثير من ضحايا المجاعة يصبحون ضعافًا، ومن ثم فإنهم يتعرضون للموت البطيء بسبب الجفاف الناجم عن الإسهال أو بعض الأمراض الأخرى.

٢- هلاك الماشية والمحاصيل الزراعية.

مما يساعد على إطالة أمد الكارثة، أثناء المجاعة، هلاك الماشية والمحاصيل الزراعية، فكثير من حيوانات المزارع تَنْفَق أو تذبح من أجل الطعام، ولكي يمنع الفلاحون حدوث المجاعة، فإنه يصبح من المحتم عليهم أن يستنفذوا كل ما لديهم من مخزون الحبوب قبل أن يحين موسم الزراعة التالي.

---

[١] انظر: http://www.marefa.org

مثل هذه الخسائر الفادحة والمدمرة تعوق الفلاحين عن العودة إلى حياتهم الطبيعية، كما أنها تعمل على انخفاض مستويات الإنتاج.

٣- الجريمة والاضطرابات الاجتماعية.

تنتشر الجرائم والاضطرابات الاجتماعية بسبب المجاعة، فتتضاعف جرائم معينة مثل النهب والدعارة والسرقة في أثناء المجاعة، ويسرق الجياع الطعام والمواد الأخرى التي لا يستطيعون الحصول عليها بطرق مشروعة، ويلجأون إلى بيع البضائع المسروقة لكي يشتروا بثمنها ما يسد رمقهم، كما قد تنشب موجات العنف وبخاصة بالقرب من مراكز إنتاج وتوزيع الطعام.

٤- الهجرة.

تهجر أعداد كبيرة من ضحايا المجاعة بيوتهم في المناطق الريفية، ويندفعون أفواجًا إلى المدن أو يحتشدون في معسكرات اللاجئين حيث تتوافر كميات الطعام اللازمة، وفي خضم الفوضى الضاربة أطنابها ينفصل الآباء عن الأبناء والكبار عن الصغار، ومن ثم ينتج عن المجاعة الطويلة الأمد هجرة الناس إلى بلدان أخرى بعيدًا عن موطنهم الأصلي.

الفصل الأول

درء خطر المجاعة بالتخطيط الاقتصادي في الإسلام

المبحث الأول: مفهوم التخطيط الاقتصادي وأهميته ونماذجه في الإسلام

معنى التخطيط الاقتصادي:

التخطيط الاقتصادي: «هو البحث عن أفضل الوسائل الممكنة لتحقيق هدف اقتصادي معين في مدة معينة، وفي حدود الإمكانات المتاحة، وتحت الظروف والملابسات القائمة»[١].

وعرف كذلك بأنه: أسلوب أو منهج يقوم على تجنيد كافة طاقات المجتمع وموارده المتاحة بغية تحقيق أهدافه بأقل تكاليف ممكنة، وذلك خلال فترى زمنية معينة[٢].

أهمية التخطيط الاقتصادي في الإسلام:

بيّن الإسلام أهمية التخطيط الاقتصادي، وأنه واجب شرعي يجب الأخذ به في جميع النشاطات الاقتصادية والاجتماعية؛ وذلك لما له من أهمية واضحة ودور بارز في الازدهار والتقدم والتنمية ومواجهة الكوارث والأعداء، قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فالإسلام يدعو إلى أن تتم الأمور والأعمال بتوجيه وتخطيط وتنظيم، ويقول الأصوليون: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[٣].

ويمكن أن نجمل أهمية التخطيط الاقتصادي في النقاط الآتية:

---

[١] السياسة الاقتصادية والنظم المالية في الفقه الإسلامي، د/ أحمد الحصري، الطبعة الأولى (١٩٨٦م)، دار الكتاب العربي، بيروت، ص (٤٥٩-٤٦٠).

[٢] التخطيط والتنمية في الإسلام، د/ محمد عبد المنعم عفر، دار البيان العربي، جدة السعودية (١٩٨٥م)، ص (٢٨٢).

[٣] انظر الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي الآمدي (ت: ٦٣١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان (١١١/١).

والفروق: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ)، عالم الكتب (١٦٦/١).

١- التخطيط الاقتصادي به يحسن اختيار المشروعات ذات النفع العام، والتي يحتاج إليها المجتمع، وتوجيه هذه المشروعات توجيهًا سليمًا حتى لا تؤدي إلى فوارق اجتماعية في المجتمع.

٢- ويمنع التخطيط السليم الإسراف والتبذير في جميع الحالات، ويركز على الاقتصاد والاعتدال في الإنفاق، سواء أكان هذا الإنفاق على النفس أم على الغير أو غير ذلك..، وبذلك يحافظ على الإمكانات المتاحة لدى المجتمع سواء أكانت طبيعية أم بشرية.

٣- قد نجد بعض الموارد أو الإمكانات متوفرة في وقت ما، وهذه الموارد والإمكانات قد لا تتوفر في وقت آخر، فبالتخطيط الاقتصادي نستطيع أن نوفق بين وقت الوفرة، ووقت الندرة، ووقت العدم كما حصل مع يوسف عليه السلام، وبذلك نسهم في حل مشاكل المجتمع.

٤- التخطيط الاقتصادي خاصة في الإسلام يركز على أسلوب استخدام الفائض الاقتصادي استخدامًا يتفق مع مبادئ الاقتصاد الإسلامي، وذلك حسب الأولويات الضرورية ثم الحاجية ثم التحسينية[١].

٥- كما أن التخطيط الاقتصادي يوجه الاستثمارات في جميع النشاطات الاقتصادية المختلفة: التجارية، والصناعية، والزراعية، وغير ذلك من النشاطات إلى ما يحتاج إليه المجتمع، حيث يؤخذ بعين الاعتبار الأولوية للمشروعات التي تحتاج إليها الأمة أو المشروعات ذات العائد الاجتماعي.

٦- يحافظ التخطيط الاقتصادي على الثروة الطبيعية، وعلى الجهود البشرية الطائلة مع تنمية اقتصادية متوازنة عادلة[٢].

٧- التخطيط الاقتصادي يعالج ويمنع حدوث ظاهرة البطالة، وبالتالي يقضي على الفقر والجوع والمجاعات.

---

[١] الموافقات في أصول الشريعة، إبراهيم بن موسى بن إسحاق الشاطبي المالكي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (٨/٢).

[٢] انظر التخطيط الاقتصادي في الإسلام، صلاح الدين محمد أمين تكين، رسالة ماجستير (١٤١٢هـ-١٩٩١م)، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، ص (١٨، ١٩).

نماذج من التخطيط الاقتصادي في القرآن الكريم:

أرشدنا القرآن الكريم إلى أهمية التخطيط الاقتصادي من خلال العديد من الآيات الكريمة التي لا يتسع المقام هنا لذكرها جميعها، ولكن سأكتفي بذكر مثالين لأبين أهمية التخطيط الاقتصادي في القرآن الكريم من خلالهما.

المثال الأول:

قال تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر:٧].

وجه الاستدلال في هذه الآية الكريمة من ناحية التخطيط الاقتصادي هو تقسيم الفيء بين الفاتحين بخلاف ما كان عليه العرف السائد قبل الإسلام حيث كانت فئة قليلة من الناس يحصلون على أموال الفيء وهم الأغنياء والرؤساء والأقوياء ويحرمون منه الفقراء والضعفاء[١].

فهذه الآية ترشدنا إلى:

١- توزيع الفيء بين الفاتحين فهذا تخطيط في توزيع الثروة وعدم وضعها كيفما اتفق ولمن شاء.

٢- أهمية التركيز على اليتامى والمساكين وابن السبيل وهم جزء من المجتمع.

٣- القضاء على الفوارق الاجتماعية أو التقليل منها.

٤- التركيز على أهمية العمل، وعدم الالتفات إلى مكانة الإنسان الاجتماعية والسياسية[٢].

فكل هذا يحتاج إلى التعرف على هذه الفئات وحاجتها والتوزيع بناء على ذلك.

المثال الثاني:

تبرز أهمية التخطيط الاقتصادي في قصة يوسف عليه السلام مع ملك مصر - حين فسر له الرؤيا

[١] معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي (ت:٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٥/٥٦، ٥٧).

[٢] انظر التخطيط الاقتصادي في الإسلام، ص (١٠).

- والتي تعد خير دليل على أهمية التخطيط الاقتصادي في درء خطر المجاعة التي كانت ستجتاح البلاد والتي سنتحدث عنها بشيء من التفصيل في بحثنا هذا؛ لأنها من صميم دراستنا.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف:٤٣-٤٩].

والذي يعنينا في هذه القصة – والذي يخص بحثنا – هو إرشاد الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ وللمسلمين إلى أهمية التخطيط الاقتصادي في الدولة؛ وذلك من خلال الآيات التي تتعلق بموقف يوسف عليه السلام من المشكلة الاقتصادية التي علم بأنها ستجتاح البلاد، وذلك عن طريق فهمه وتعبيره لرؤيا الملك.

من هذه القصة يتبين أن الشدائد يجب أن تقابل بترشيد كل من الإنتاج والاستهلاك[١] أي زيادة في الإنتاج وتقليل من الاستهلاك.

وتتضمن هذه القصة خطة اقتصادية مهمة قام بها يوسف عليه السلام.

وسنتحدث عنها بشيء من التفصيل لاحقًا وخلاصتها:

١- زيادة استثمار الأراضي الزراعية ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ [يوسف:٤٧] أي العمل الزراعي المستمر الذي لا ينقطع لتحقيق الأمن الغذائي في السنوات الضيقة المقبلة.

[١] التخطيط والتنمية في الإسلام، ص (٢٨٨).

٢- أهمية وضرورة الترشيد والاقتصاد في الاستهلاك وعدم التبذير والإسراف ﴿ **فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأۡكُلُونَ** ﴾ [يوسف:٤٧]، قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ﴾ [الفرقان:٦٧].

والتخطيط الاقتصادي للوقاية من سني المجاعات والأزمات الاقتصادية بالاكتفاء بالقليل مما يقام به الأود.

٣- ضرورة تخزين الزروع وحفظها من التلف ﴿ **فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأۡكُلُونَ** ﴾ [يوسف:٤٧] لكي لا تتعرض للسوس أو القوارض، وغيرها من عوامل البيئة المختلفة التي تؤدي إلى التلف والضياع.

٤- أهمية المُخَطِّط (العنصر البشري) ولاشك أن هناك أهمية كبرى لصاحب القرارات والسياسات ومنفذها حيث قال يوسف عليه السلام: ﴿ **ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ** ﴾ [يوسف:٥٥] أي حفيظ لترشيد الاستهلاك وتخطيط الاستثمار، وعليم بسنوات المجاعات القادمة، وكيفية التعامل معها.

٥- حسن استخدام الفائض، فلابُدَّ من حسن استخدام هذا الفائض في العملية الإنتاجية، وتحقيق الموازنة بين كل من الإنتاج والاستهلاك لتوليد مزيد من هذا الفائض الذي يساعد بدوره على إعادة الإنتاج وتحقيق الرخاء ﴿ **ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ** ﴾ [يوسف:٤٩][1].

ثانيًا: في السنة النبوية:

أرشدتنا السنة النبوية إلى أهمية التخطيط الاقتصادي وذلك في العديد من الأحاديث نذكر منها:

المثال الأول:

[1] انظر الإسلام والاقتصاد: د. عبد الهادي علي النجار، سلسلة عالم المعرفة المجلس الأعلى الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٦٣ سنة (١٩٨٣)، ص (١٧٣-١٧٥).

ما رواه أنس بن مالك أن رجلًا من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله فقال: أما في بيتك شيء، قال: بلى، حِلْس[١] نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقَعْب[٢] نشرب فيه من الماء قال: ائتني بهما فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: من يشتري هذين؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال: من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثًا. قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدومًا، فائتني به، ففعل فأخذه رسول الله ﷺ فشد في القدوم عودًا بيده وقال: اذهب فاحتطب ولا أراك خمسة عشر يومًا، فجعل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فقال اشتر ببعضها طعامًا وببعضها ثوبًا ثم قال: هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة[٣] في وجهك يوم القيامة.

إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مُدْقِع[٤] أو لذي غُرْم مُفْظِع[٥] أو دم موجع[٦][٧].

---

[١] حِلْس: كساء يلي ظهر البعير تحت القتب. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد بن محمد الجزري ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، مادة: حلس.

[٢] القعب: قدح ضخم غليظ. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، مادة: قعب.

[٣] نكتة: أثر قليل كالنقطة. النهاية في غريب الحديث والأثر. مادة: نكت، والمعجم الوسيط.

[٤] مدقع: أي شديد. انظر المصدر السابق. مادة: (دقع).

[٥] غرم مفظع: أي حاجة لازمة من غرامة مثقلة شديدة. انظر المصدر السابق، مادة: (غرم) و(فظع).

[٦] دم موجع: هو أن يتحمل دية فيسعى فيها حتى يؤديها إلى أولياء المقتول، فإن لم يؤدها قتل المُتحمَّل عنه، فيوجعه قتله. المصدر السابق، مادة: وجع.

[٧] د (١٤٠/٢) – (٩) كتاب الزكاة – باب ما يجوز فيه المسألة، رقم (١٦٤١). ت (٥١٣/٢) – (١٢) أبواب البيوع – (١٠) باب ما جاء في بيع من يزيد، رقم (١٢١٨) وقال الترمذي: هذا حديث حسن. س (٢٥٩/٧) – كتاب البيوع – باب البيع فيمن يزيد، رقم (٤٥٠٨). جه (٧٤٠/٢) – (١٢) كتاب التجارات – باب بيع المزايدة، رقم (٢١٩٨).
مسند أحمد (١٨٢/١٩) رقم (٢١٣٤) و(٣١/١٩) رقم (١١٩٦٨) حسن الحديث الترمذي، وأعله ابن القطان؛ لأن في

فهذا الحديث يدل على أهمية تخطيط القوى العاملة، وكذلك أهمية عنصر العمل في الدولة الإسلامية.

والرسول ﷺ بصفته رئيس الدولة الإسلامية قام بالتخطيط للقوى العاملة، وهو إيجاد العمل للرجل والتخطيط الإنتاجي، وهو احتطاب الرجل، وكذلك التخطيط الاستثماري وهو بيع أغراض الرجل والاستفادة منها[١].

المثال الثاني:

يعتبر تنظيم السوق في المدينة المنورة بعد هجرة الرسول ﷺ تخطيطًا اقتصاديًّا، حيث كان السوق في المدينة بأيدي يهود يثرب، وكانوا هم الذين يسيطرون على اقتصاد البلد، ولاشك أن للسوق دورًا بارزًا في الحياة السياسية والاجتماعية إلى جانب الحياة الاقتصادية، لذلك ركز الرسول ﷺ اهتمامه في بداية الأمر على أن يكون للمسلمين سوق خاص بهم، فذهب رسول الله ﷺ إلى سوق النَّبِيط[٢]

سنده أبا بكر الحنفي، مجهول الحال. انظر الوهم والإيهام في كتاب الأحكام: علي بن محمد أبو الحسن القطان (ت: ٦٢٨هـ)، تحقيق د/ الحسين آيت سعيد، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، دار طيبة، الرياض (٧٥/٥)، ونصب الراية لأحاديث الهداية، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (٢٣/٤).

وانظر ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، الطبعة الثانية (١٣٨٧هـ-١٩٦٧م)، مكتبة النهضة الحديثة، مكة (٢٣٥٧/٢٣٣/١) رقم (٢٣٥٧).

والتاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد – الدكن (١٢/٩).

[١] انظر التخطيط الاقتصادي في الإسلام، ص (١٤).

[٢] النَّبِيط: قوم ينزلون بالبطائح بين العراقَيْن والجمع (أنباط) وكانوا ينزلون المدينة في تجارة لهم، مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، المكتبة العصرية، بيروت. مادة: نبط.

فنظر إليه فقال: «ليس هذا لكم بسوق» ثم ذهب إلى سوق فنظر إليه فقال: «ليس هذا لكم بسوق» ثم رجع إلى هذا السوق فطاف فيه، ثم قال: «هذا سوقكم فلا يُنتقصنَّ، ولا يُضْرَبَنَّ عليه خراج»[١].

فهذا الحديث الشريف يبين لنا كيف قام رسول الله ﷺ بتخطيط اقتصادي واجتماعي وسياسي وذلك من خلال تنظيم السوق للمسلمين، ولا يخفى ما للسوق من دور مهم في أنماط حياة الشعوب (ساسية واقتصادية واجتماعية) وكذلك فإن معاملات سوق المسلمين تختلف عن معاملات أسواق غيرهم[٢].

المثال الثالث:

ولنضرب مثالًا آخر على التخطيط الاقتصادي في السنة وذلك في:

أموال بني النضير.

كانت أول أرض أجلى الرسول ﷺ أهلها هي أرض بني النضير ذلك أنهم حاولوا اغتيال رسول الله ﷺ عندما ذهب إليهم يطلب منهم دية قتيلين، فأبوا ذلك وأعلنوا بالمحاربة فزحف إليهم الرسول ﷺ فحاصرهم خمس عشرة ليلة، ثم تصالحوا على أن يخرج بنو النضير من بلدهم ولهم من الأموال ما حملت الإبل إلا الحلقة والآلة، ولرسول الله ﷺ أرضهم ونخلهم والحلقة وسائر السلاح (والحلقة: الدروع) فكانت هذه الأموال خالصة للنبي ﷺ.

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله، ولم يوجف المسلمون

---

[١] جه (٧٥١/٢) – (١٢) كتاب التجارات – (٤٠) باب الأسواق ودخولها رقم (٢٢٣٣).

وإسناده ضعيف لضعف رواته. انظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت: ٨٤٠هـ)، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ)، دار العربية، بيروت (٢٧/٣).

[٢] التخطيط الاقتصادي في الإسلام، ص (١٤، ١٥).

عليها بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة له، فقسم الرسول ﷺ الأموال عدا الأرضين على المهاجرين دون الأنصار إلا رجلين كانا فقيرين حيث قال الرسول ﷺ للأنصار ليس لإخوانكم من المهاجرين أموال فإن شئتم قسمتم هذه، وأموالكم بينكم وبينهم جميعًا، وإن شئتم أمسكتم أموالكم، وقسمت هذه فيهم خاصة، فقالوا: بل اقسم هذه فيهم، واقسم لهم من أموالنا ما شئت[١] فنزل قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر:٩].

مما لا شك فيه أن هذا كان تخطيطًا اقتصاديًّا من رسول الله ﷺ؛ لأن المهاجرين هاجروا مع الرسول ﷺ وتركوا أموالهم في مكة، ولم يكن لهم أموال حتى يكون لهم مصدر معيشة، على عكس الأنصار الذين كانوا يمتلكون أموالًا.. ولذلك كان هدف رسول الله ﷺ:

١- القضاء على الفقر.

٢- تقليل الفوارق الاجتماعية بين أفراد المجتمع من الناحية الاقتصادية.

٣- رفع المستوى المعيشي للمهاجرين – وكذلك الأنصار – وذلك لتحقيق التوازن الاقتصادي بينهم[٢].

[١] انظر فتوح البلدان: أحمد بن يحيى بن داود البلاذري (ت: ٢٨٩هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت (١٩٨٨م)، (١/٢٧-٣٠).

[٢] انظر: التخطيط الاقتصادي في الإسلام، ص (٢٧، ٢٨).

المبحث الثاني: وضع خطة اقتصادية

صور لنا القرآن الكريم الخطة الاقتصادية التي انتهجها سيدنا يوسف عليه السلام لدرء خطر المجاعة التي ستحل على البلاد لمدة سبع سنين والتي كانت وحيًا أوحاه الله إلى يوسف – عليه السلام – بواسطة رؤيا الملك. قال تعالى: ﴿ **يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف:٤٦].

أرسى سيدنا يوسف – عليه السلام – لملك مصر في تعبيره للرؤيا خطة اقتصادية توافرت لها الأصول العلمية والعملية وهذه الخطة تقوم على الموازنة التخطيطية بين الإنتاج الزراعي (الإيرادات) والنفقات الاستهلاكية بهدف مواجهة المخاطر المحتملة من المجاعة المتوقعة فقال لهم ﴿ **تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** ﴾ [يوسف:٤٧-٤٩].

«أي قال يوسف للملك ومَلَئِه مبينًا لهم ما يجب عليهم أن يعملوه لتلافي ما تدل عليه الرؤيا من الخطر على البلاد قبل وقوع تأويلها، من زراعة القمح سبع سنين متوالية بلا انقطاع ثم بادخار ما يحصد منه في كل زرعة في سنابله على طريق تحفظه من السوس بتسرب الرطوبة إليه حتى يكون القمح لغذاء الناس والتبن للدواب حين الحاجة إليه إلا قليلًا من ذلك تأكلونه في كل سنة، مع الاقتصاد والاكتفاء بما يسد الحاجة، ويكفي دفع المخمصة... ثم تأتي بعد ذلك سبع سنين كلهن جدب وقحط، يأكل أهلها كل ما ادخرتم في تلك السنين لأجلهم إلا قليلًا مما تخزنون وتدخرون للبذر»[(١)].

[(١)] تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، الطبعة الأولى (١٣٦٥هـ-١٩٤٦م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر (١٥٦/١٢).

هذه هي الخطة الاقتصادية التي رسمها يوسف عليه السلام لدرء خطر المجاعة، وقد جاءت هذه الخطة الاقتصادية في قصة يوسف عليه السلام واضحة المعالم دقيقة التفاصيل بجميع ما دلت عليه، فالبقراتُ لسنين الزراعة؛ لأن البقرة تتخذ للإثمار، والسمن رمز للخصب، والعجف رمز للقحط، والسنبلات رمز للأقوات، فالسنبلات الخضر رمز لطعام ينتفع به، وكونها سبعًا رمزًا للانتفاع به في السبع السنين، فكل سنبلة رمز لطعام سنة، فذلك يقتاتونه في تلك السنين جديدًا.

والسنبلات اليابسات رمز لما يدخر، وكونها سبعًا رمز لادخارها في سبع سنين؛ لأن البقرات العجاف أكلت البقرات السمان أي أن سنين الجدب أتت على ما أثمرته سِنُو الخِصْب.

وكان ما أشار به يوسف عليه السلام على الملك من الادخار تمهيدًا لشرع ادخار الأقوات للتموين، وأشار إلى إبقاء ما فضل عن أقواتهم في سنبله ليكون أسلم له من إصابة السوس الذي يصيب الحب إذا تراكم بعضه على بعض، فإذا كان في سنبله دُفع عنه السوس وأشار عليهم بتقليل ما يأكلون في سنوات الخِصْب لادخار ما فضل عن ذلك لزمن الشدة[١] فقال: ﴿ **إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ** ﴾ [يوسف:٤٨].

«وكان تعبير الرؤيا دقيقًا؛ لأنه يريد أن يستبقي للناس حياتهم في زمن الجدب، ويستبقي لهم كذلك الضرع الحيواني، فيأكل الناس الحب، وتأكل الماشية التبن المتبقي، وكذلك ضمن الحق مقومات الحياة لكل ما يلزم للحياة.

فالمأكول في سنوات الرخاء هو القليل، أما الباقي فهو الكثير في سنبله؛ لأن الناس ستأكل في أعوام الجدب الكثير من الحبوب التي في المخازن ويجب أن يحتفظوا بقليل مما يدخرون في هذه المخازن، وذلك لاستبقاء جزء من القمح للزراعة»[٢].

---

[١] انظر التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار التونسية للنشر، تونس (١٩٨٤م)، (١٢/٧٨٦، ٢٨٧).

[٢] تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم (٦/٣٣٥٨).

ويتضح من تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا الملك أن خطته الاقتصادية لدرء خطر المجاعة تقوم على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تستمر سبع سنوات حدد يوسف – عليه السلام – معالمها كالآتي:

خطة الإنتاج: ﴿ **تَزْرَعُونَ** ﴾ الزراعة.

مدة الإنتاج: سبع سنين.

مستوى الإنتاج: ﴿ **دَأَبًا** ﴾ عملًا دائبًا متواصلًا.

زيادة المدخرات: ﴿ **فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ** ﴾.

تقييد الاستهلاك: ﴿ **إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ** ﴾.

المرحلة الثانية: تستمر سبع سنوات حدد أهم معالمها كالآتي:

- تقييد وتنظيم الاستهلاك ﴿ **ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ** ﴾.

- الاستعداد لإعادة الاستثمار ﴿ **إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ** ﴾ أي هذه البذور التي ينبغي أن تحافظوا عليها.

المرحلة الثالثة: ﴿ **ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** ﴾ أي يبذرون ما احتفظوا به في سنبله من قبل سبع سنين، فإذا ما ارتفع النبات، وغطى الأرض، وزكا الثمر جمعوه وعصروا زيوتهم وجمعوا فاكهتهم[١].

ونلاحظ أن خطة يوسف عليه السلام الاقتصادية تقوم على الزراعة التي هي الأساس في مكافحة الجوع، وهي تستهدف المجتمع بأسره ﴿ **تَزْرَعُونَ** ﴾ ولذلك فإن أولى خطوات اجتثاث المجاعة في العالم هو الاستثمار في تطوير الزراعة ضرورة لضمان تدفق الإمدادات الغذائية مستقبلًا، والأمل

[١] الإعجاز العلمي في التخطيط الإستراتيجي وإعداد الموازنات، د/ خلف عبد الله الوارث، موقع http://quran-m.com/quran/article/285/

في «الثورة الخضراء» لإعادة إحياء الزراعة، وإنقاذ العالم من مجاعات محققة، وحماية ودعم المزارعين لإبقائهم عاملين بحماس وسرور لتأمين غايات وحاجات أوطانهم من الأمن الغذائي[١].

وقد ذكر تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أن إفريقيا تحتاج إلى تعزيز القطاع الزراعي ومكافحة مشكلة الجوع إذا أرادت المحافظة على نمو اقتصادي مستمر، ودعا التقرير إلى الاستثمار في زيادة الإنتاج الزراعي ليس من أجل مكافحة الفقر فقط، ولكن أيضًا لتوفير وظائف جديدة للعدد المتزايد من السكان الذي سيتضاعف إلى ملياري نسمة بحلول عام ٢٠٥٠م.

ويرى المتخصصون أن الجوع يعتبر وصمة عار لعصر العولمة وللدول الغربية والمنظمات الدولية مما يتطلب تحركًا سريعًا من المجتمع الدولي، وبذل جهد أكبر من أجل حل دائم لمشكلة المجاعات الدائمة في إفريقيا، ويجب أن تطال هذه الحلول أساليب الزراعة المتبعة والقيام بإرشاد الفلاحين إلى أساليب أخرى تعود بالنفع الأكبر عليهم إلى جانب تحسين الخطط والتقنيات الزراعية.

وفي نفس الوقت ضرورة بلورة استراتيجية حقيقية للتنمية الزراعية ومساعدة الفلاحين الفقراء على الاستثمار في الزراعة[٢].

---

[١] القضاء على أسباب الجوع.. وليس تقديم المعونات فقط، إعداد: سائر الراشد، جريدة الثورة، الخميس ٢٠١١/٧/٢٨م، مؤسسة الصحافة للطباعة والنشر.

[٢] (الجوع في إفريقيا مشكلة تبحث عن حلول)، جريدة الدستور، الإثنين ١٧ فبراير ٢٠١٤م
http://www.dostor.org/

المبحث الثالث: تحقيق الأمن الغذائي

على الرغم من أن مشكلة الغذاء مشكلة اقتصادية في المقام الأول؛ لأنها تعبر عن شكل من أشكال العلاقة بين العرض والطلب، أو بين الإنتاج والاستهلاك، إلا أن لها أبعادًا متعددة منها: البعد الأمني.

ونظرًا لما لهذا البعد من أهمية كبيرة فقد شاع مصطلح (الأمن الغذائي) بسبب الارتباط الوثيق بين كل من الغذاء والأمن، فالغذاء هو: أحد حاجات الإنسان الضرورية التي تتمثل في المأكل والملبس والمسكن، إلا أن الغذاء يعتبر أهمها.. فالإنسان لا يستطيع الاستغناء عنه أو الصبر على الجوع.

فالطعام إذن هو أول مقومات الحياة، فإذا لم يُوفر بشكل يستطيع الناس الحصول عليه هاج الشعب وثار.. مما يؤدي إلى قيام الاضطرابات والفوضى، واختلال أمور الأمن في البلاد، ولذلك فإن توفير الطعام للسواد الأعظم من الشعب بأسعار تناسب دخولهم يساعد على استتباب الأمن في المجتمع[١].

التعريف بالأمن الغذائي:

ولذلك يمكن تعريف الأمن الغذائي بأنه: قدرة مجتمع ما على توفير الاحتياجات الأساسية من الغذاء للمواطنين، وضمان حد أدنى من تلك الاحتياجات بانتظام، عبر إنتاج السلع الغذائية محليًّا، وتوفير حصيلة كافية من عائدات الصادرات لاستخدامها في استيراد ما يلزم لسد النقص في الإنتاج الغذائي الذاتي، بدون أي تعقيدات أو ضغوط من أي مصدر كان.

والأمن الغذائي اصطلاح طرحته المنظمات والهيئات الدولية وتبنته الحكومات ليأتي مترافقًا مع مصطلحات أخرى، كالأمن الوطني، والأمن الإستراتيجي والأمن الاجتماعي، وغيرها من المصطلحات التي أريد من طرحها التنبيه إلى ضرورة مواجهة أخطار تهدد المجتمع من أجل اتخاذ الإجراءات اللازمة للتخفيف من آثارها وإزالة جميع الأضرار الناجمة عنها.

---

[١] الأمن الغذائي والصناعات في الوطن العربي، فلاح سعيد جبر، مجلة عالم الفكر – المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، يوليو – أغسطس – سبتمبر ١٩٨٧، ص (١١٥).

كما أن المقصود بالأمن الغذائي قد يكون: توفير الغذاء اللازم للمجتمع من مصادره المحلية والخارجية، وضمان توزيع الغذاء وجعله في متناول أعضاء المجتمع[١].

وإذا كان توفير الغذاء يمثل الجانب الأمني، بل هو الجانب الرئيس للأمن الغذائي، فإن الجانب الآخر هو توفير إمكانية الاتصال وإيصال ذلك الغذاء إلى حيث تكون الحاجة إليه.

فالأمن الغذائي إذن هو: تحفيز قدرات، وفعل منسق، وعمل هادف لحل معضلات محددة، فرضها واقع (زراعي – صناعي – اجتماعي – اقتصادي) في بلد ما، أو منطقة جغرافية معينة، وبالإمكان تحديد مفهوم الأمن الغذائي ليشمل ضمان توفير بعض السلع الغذائية في الأسواق المحلية على مدار العام، وبأسعار مناسبة، وذات قيمة غذائية تكفل للإنسان بقاءً حيًّا وتمكنه من أداء مهامه الاقتصادية بصورة صحيحة مناسبة[٢].

إن تقارير منظمة (الفاو) – منظمة الأغذية والزراعة – تؤكد أن نحو (٢٥) ألف مليون طن من التربة الخصبة تتعرض للزوال سنويًّا بفعل عوامل التربة.. وأن نصيب الفرد من الأرض الصالحة للزراعة انكمش بحلول عام ٢٠١٠ من ٨٥و٠ إلى نحو ٤ هكتار، ويقول (كيث كولينز) – وهو كبير اقتصادي وزارة الزراعة الأمريكية – : (ينبغي معالجة الوضع عن كثب)، وفي السياق نفسه يذكر تقرير المعهد الدولي لأبحاث السياسة الغذائية: (أنه ستصبح العلاقة بين إنتاج المواد الغذائية على مستوى العالم والأسعار علاقة مضطربة، الأمر الذي سيترجم على مخاطر أكبر بالنسبة للأمن الغذائي في دول العالم النامي). أرقام ونتائج تدعو (بالفعل) إلى القلق، والسؤال الآن هو: أين تكمن المشكلة الحقيقية... أهي في الإنتاج أم في التوزيع...؟ وهل بدأت الأرض – فعلًا – تعجز عن إطعام ساكنيها...؟ وهل يمكن وصف هذه الحالة باختلال في الموارد أم أنه فقر في التقنيات...؟[٣]

---

[١] حول الأمن الغذائي العربي، حسان الشوبكي، مجلة الوحدة، السنة السابعة، العدد ٨٤ سبتمبر ١٩٩١، ص (٥٦) وما بعدها.

[٢] حول الأمن الغذائي العربي، حسان الشوبكي، ص (٥٦ وما بعدها).

[٣] انظر منظمة الأغذية والزراعة الدولية (الفاو) كتاب الإنتاج السنوي، ص (٥٠).

وقد حذر تقرير صادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في ١٦ مايو ٢٠١٢م من تأثير فترات الجوع طويلة المدى وسوء التغذية في تدمير الأسر والمجتمعات المحلية على المدى القصير مما يؤدي إلى ترك أثر على أجيال المستقبل مما يقوض جهود التنمية البشرية.

ويرى التقرير الأممي ضرورة إطلاق خطة أمن غذائي من خلال اتخاذ إجراءات فورية في أربعة مجالات أساسية منها وضع خطة لزيادة الإنتاجية ووضع سياسات تساعد على زيادة الإنتاجية بما في ذلك البنية التحتية وتشجيع المبادرات الزراعية لتغطية احتياجات سكان القارة الإفريقية[١].

وتفيد تقارير شبكة معلومات الأمن الغذائي – التي يرعاها برنامج الأغذية العالمي التابعة للأمم المتحدة – بأن ١٠٨ ملايين شخص واجهوا انعدام الأمن الغذائي إلى مستوى أزمة في ٢٠١٦م وهي زيادة كبيرة عن العدد الإجمالي خلال العام السابق وهو نحو ٨٠ مليون شخص[٢].

دور الإسلام في تحقيق الأمن الغذائي:

عرفنا أن الزراعة أصل من أصول الأمن الغذائي، ولها دور كبير في تحقيقه؛ ولذلك «دعا الإسلام إلى الزراعة وحث عليها؛ لأن الزرع والغرس فيهما مادة الغذاء للأحياء»[٣].

ففي القرآن الكريم:

العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن المحاصيل الزراعية وتنويعها بما يعطي إشارة قوية إلى ضرورة الاقتداء والمحاكاة، حتى لا يكون الإنتاج الزراعي أو التصديري معتمدًا على محصول واحد بما يكتنفه من المخاطر الاقتصادية المعلومة. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ**

---

[١] الجوع في إفريقيا مشكلة تبحث عن حلول، جريدة الدستور، الاثنين ١٧ فبراير ٢٠١٤م.

[٢] انظر: http://arabic.spulniknews.com

[٣] التكافل الاجتماعي في الإسلام، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة (١٩٩١م)، ص (٢٦).

﴿ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام:٩٩].

ثم إن بعض آيات القرآن الكريم يربط مراحل الإنتاج الزراعي، من حرث الأرض، واستصلاحها، وسقيها بالماء ثم بعد ذلك الحصاد، والتخزين كما في قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ * أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا * ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا * فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا * وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴾ [عبس:٢٤-٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴾ [يوسف:٤٧].

أما السنة النبوية:

فقد حضت على الزراعة وأعلت من شأنها. قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[(١)].

ولقد اهتم الإسلام في تشريعاته كثيرًا بأمر الزراعة وخاصة في المناطق الخالية منها؛ ولذلك دعا إلى إحياء الأرض الموات[(٢)].

قال رسول الله ﷺ: «من أعمر أرضًا ليست لأحد فهو أحق بها»[(٣)].

وقال ﷺ: «من أحيا أرضًا ميتة فهي له»[(٤)].

[(١)] خ (١٠٣/٣) – (٤١) كتاب المزارعة – باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه. رقم (٢٣٢٠).
مسلم (١١٨٩/٣) – (٢٢) كتاب المساقاة – (٢) باب فضل الغرس والزرع. رقم (١٥٥٣/١٢).

[(٢)] موات الأرض هي الأرض التي تعذر زرعها لانقطاع الماء عنها أو لغمره لها أو لكون طينتها غير صالحة للإنبات ابتداءً. التكافل الاجتماع لأبي زهرة، ص (٣٦).

[(٣)] خ (١٠٦/٣) – (٤١) كتاب المزارعة – باب من أحيا أرضًا مواتًا، رقم (٢٣٣٥).

[(٤)] **صحيح.**
د (١٧٨/٣) – (١٩) كتاب الخراج والإمارة والفيء – باب في إحياء الموات. رقم (٣٠٧٣).
ت (٥٧/٣) – (١٣) أبواب الأحكام – باب ما ذكر في إحياء الأرض الموات. رقم (١٣٧٩). وقال: هذا حديث حسن

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن الإحياء وتحقيق التنمية الزراعية وعمارة الأرض إنما هو هدف في حد ذاته قبل أن يكون وسيلة للملكية.

وعلى الرغم من المساحة الواسعة للوطن العربي إلا أن الأرض المزروعة تبلغ نحو ٥و٣٪ من جملة مساحة الوطن العربي، وحوالي ٢و٣٪ فقط من مساحة الأراضي الزراعية في العالم.

وتحتل المراعي والمروج الخضراء حوالي ١٩٪ من المساحة الكلية للوطن العربي، في حين تحتل الغابات حوالي ١٠٪ من مساحة البلاد العربية.

أما المساحة المتبقية فتبلغ نسبتها نحو ٦٨٪ من إجمالي المساحة الكلية للوطن العربي فهي عبارة عن صحاري وأرضي مجدبة، وغير منتجة.

وبناء عليه فإن الوطن العربي يتفوق على سائر بلدان العالم بهذه النسبة المرتفعة من الصحاري والأراضي الموات[١].

ولذلك فإن زراعة هذه الأراضي عن طريق التخطيط الاقتصادي السليم يمكن أن يؤمِّن الغذاء لكل مناطق وأفراد العالم الإسلامي بما يعالج مسألة الفقر والجوع وبالتالي يمنع حدوث المجاعات، خاصة وأن المياه متوفرة لري مساحات شاسعة من هذه الأراضي المجدبة، وغير المنتجة، كما في السودان.

صحيح.

[١] مشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي. د محمد علي الفرا، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢١ عام (١٩٢٣-١٩٩٠)، ص (٤٨، ٤٩).

المبحث الرابع: تحقيق العدالة في التوزيع

إن الشريعة الإسلامية التي شملت كل جانب من جوانب الحياة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، والتي أرست جميع الأسس والقواعد التي من شأنها صلاح أمر الناس في دنياهم وأخراهم كان من البدهي أن تهتم بمبدأ العدالة اهتمامًا واضحًا بارزًا[١].

ونلمس ذلك من خلال آيات قرآنية وأحاديث نبوية.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء:٥٨]، وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النحل:٩٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٨] فهذه الآيات تدل على أهمية وفريضة العدالة في النظام الإسلامي.

كذلك أكدت السنة النبوية على أهمية العدالة. قال رسول الله ﷺ: «إن أحب الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة وأدناهم منه مجلسًا إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله عز وجل وأبعدهم منه مجلسًا إمام جائر»[٢].

وتتضح العدالة التخطيطية في الاقتصاد الإسلامي في:

١- توزيع الاستثمارات في الأنشطة الاقتصادية المختلفة بشكل عادل، وكذلك المناطق المختلفة.

---

[١] الإسلام مقاصده وخصائصه، د. محمد عقله، الطبعة الأولى (١٩٨٤)، مكتبة الرسالة الحديثة، ص (١١٣).

[٢] **حسن لغيره.**

ت (١٠/٣) – (١٣) أبواب الأحكام – باب ما جاء في الإمام العادل – رقم (١٣٢٩) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

مسند أحمد (٢٦٤/١٧) رقم (١١١٧٤) و(٨٥/١٨) رقم (١١٥٢٥) وإسناده ضعيف.

والحديث له شاهد أخرجه الطبراني في الأوسط (١١٢/١) رقم (٣٤٨) بإسناد ضعيف.

فالحديث إذن يرتقي إلى درجة الحسن لغيره بمجموع طرقه وشواهده.

٢- وتوزيع النفقات في الولايات والمناطق المختلفة في الدولة[١].

٣- وكذلك توزيع الأموال وكذلك الغذاء عند الخوف من حالات المجاعة على الناس بالعدل كما فعل يوسف عليه السلام.

دور عدالة التوزيع في مكافحة الجوع:

وينظر الإسلام للموارد الاقتصادية نظرة شاملة في مواجهة البشر ككل، وفي هذا تكون الموارد كافية لإشباع حاجة الإنسان والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ * وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤].

وعلى هذا الأساس فإن أي قصور في استغلال هذه الموارد الاقتصادية يعتبر سببًا رئيسًا في خلق مشكلة الفقر والجوع، كما أن سوء توزيع الدخل وعدم الصدقات يعتبر سببًا ثانيًا في خلق تلك المشكلة.

وقد عبر الله سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ [يس:٤٧].

ومؤدى هذا أن سلوك الإنسان ذاته وفساد نظامه الاقتصادي، سواء من ناحية ضعف الإنتاج أو سوء التوزيع أو هما معًا، هو السبب الذي يكمن خلف مشكلة الفقر[٢]. الذي يعد من أهم أسباب حدوث المجاعات في العالم بأكمله.

وقد عالج الإسلام هذه المشكلة بطريقتين:

---

[١] انظر التخطيط الاقتصادي في الإسلام، ص (٣٩، ٤١).

[٢] انظر الاقتصاد والإسلام، د. علي عبد الهادي النجار، ص (١٣٨، ١٣٩).

الأولى: من ناحية الإنتاج فدعا إلى التنمية الاقتصادية بوجه عام. قال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ** ﴾ [الملك:١٥].

وإلى التنمية الزراعية بوجه خاص في حالة المجاعات كما بينت فيما سبق.

الثانية: من ناحية التوزيع، وهنا يكفل الإسلام في حالات الفقر والجوع أن يوفر للفرد حد الكفاية، فعدالة التوزيع تتجسد في الإسلام في المساواة المطلقة بين الأفراد، ويعني ذلك أنه إذا كانت إمكانيات المجتمع تعطي فقط الحاجات الأساسية للأفراد فلا يجوز أن يتفاوت فرد عن فرد في الاستفادة من هذه الإمكانات.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ** ﴾ [طه:١١٨-١١٩].

ويوضح ابن حزم الحاجات الأساسية هذه والتي يجب أن تتوفر لكل إنسان في ظل الإسلام بقوله: «وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك – إن لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه، ومن اللباس للصيف والشتاء بمثل ذلك، وبمسكن يَكُنّهُم من المطر، والصيف والشمس، وعيون المارة»[(١)].

وعلى هذا الأساس إذا كانت موارد المجتمع تعجز عن توفير حد الكفاية لكل فرد، وأن يكون هناك من لا يجد الاستهلاك الضروري، وهناك من يزيد استهلاكه عن الحاجات الأساسية، فإن الإسلام لا يرضى بذلك، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[(٢)].

---

(١) المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، دار الفكر العربي، بيروت (٢٨١/٤).

(٢) خ (١١٥/٩) – (٩٧) كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى: ﴿ **قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ** ﴾ [الإسراء:١١٠] رقم (٧٣٧٦).

م (١٨٠٩/٤) – (٤٣) كتاب الفضائل – (١٥) باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك رقم

قال ابن حزم معلقًا على هذا الحديث: «ومن كان على فَضْلَةٍ ورأى المسلم أخاه جائعًا عُريان ضائعًا فلم يغثه فما رَحِمَه بلا شك»[١].

وقال رسول الله ﷺ مبينًا فضيلة المواساة في الطعام القليل: «طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة»[٢].

وذهب ابن حزم إلى أن من ترك أخاه المسلم يجوع ويعرى، وهو قادر على إطعامه وكسوته فقد أسلمه[٣] مستدلًا بقوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه[٤]»[٥].

عدالة يوسف عليه السلام في التوزيع:

يدعو الإسلام إلى تعبئة الموارد، وتوزيعها بالتساوي بين الأفراد في حالات الفقر والجوع، وهذا ما فعله سيدنا يوسف عليه السلام.

فقد علم أن التخطيط الاقتصادي السليم لا يقتصر فقط على وضع خطة اقتصادية في مجال الزراعة إنتاجًا واستهلاكًا وتخزينًا حتى تمر فترة الجفاف والقحط ولا يهلك الناس في هذه السنوات السبع، بل يحتاج أيضًا إلى عدالة في التوزيع، ولكي يستطيع أن يقوم بهذه المهمة على خير وجه قال للملك: ﴿ **ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ** ﴾ [يوسف:٥٥].

(٢٣١٩/٦٦).

[١] المحلى (٢٨٢/٤).

[٢] خ (٧١/٧) – (٨٠) كتاب الأطعمة – باب طعام الواحد يكفي الاثنين رقم (٥٣٩٢).
مسلم (١٦٣٠/٣) – (٣٦) كتاب الأشربة – باب فضيلة المواساة في الطعام القليل – رقم (٢٠٥٨/١٧٨).

[٣] المحلى (٢٨٢/٤).

[٤] يُسلمه: يقال أسلم فلان فلانًا إذا ألقاه إلى الهلكة ولم يحمه من عدوه، وهو عام في كل من أسلمته إلى شيء لكن دخله التخصيص، وغلب عليه الإلقاء في الهلكة. النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: سلم.

[٥] خ (١٢٨/٣) – (٤٦) كتاب المظالم والغصب – باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. رقم (٢٤٤٢).
وم (١٩٩٦/٤) – (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب – (١٥) باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨٠/٥٨).

طلب يوسف عليه السلام أن يشرف ويتصرف في الخزن التي تخزن فيها الغلال حتى يحقق توازنًا اقتصاديًّا بين الموارد المالية والنفقات[١]، وحتى يحقق العدالة في توزيع الطعام بين الناس ولذلك شرع يوسف عليه السلام بتوزيع الطعام بالعدل على المُمْتَارِين: أي الذين يطلبون الميرة: الطعام، فجعل لكل واحد حِمل بعير، وكان يوسف عليه السلام يراقب أمر بيع الطعام بنفسه ويأذن به في مجلسه خشية إضاعة الأقوات؛ لأن بها حياة الأمة[٢].

قال ابن عباس وغيره: لما أصاب الناس القحط والشدة، ونزل ذلك بأرض كنعان بعث يعقوب عليه السلام ولده للميرة، وذاع أمر يوسف عليه السلام في الآفاق، للينه وقربه ورحمته ورأفته وعدله وسيرته، وكان يوسف عليه السلام حين نزلت الشدة بالناس يجلس عند البيع بنفسه، فيعطيهم من الطعام على عدد رؤسهم، لكل رأس وسقًا[٣][٤].

---

[١] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الطبعة الثانية (١٤١٨هـ)، دار الفكر العربي المعاصر، دمشق (٩/١٣).

[٢] انظر التحرير والتنوير (١٢/١٣).

[٣] الوسق: بفتح الواو وكسرها وسكون السين، ضم الشيء إلى الشيء مكيال قدره حمل بعير= أو ستون صاعًا، والصاع (٢١٧٢جم) وعند الحنفية (٣٢٦١.٥جم).

انظر معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قليبي، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع (٥٠٢/١) و(٢٧٠/١، ٤٥٠).

[٤] الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، (٢٢٠/٩).

الفصل الثاني

درء خطر المجاعة بالتكافل الاجتماعي في الإسلام

المبحث الأول: مفهوم التكافل الاجتماعي وأهميته وصوره في الإسلام

يعد التكافل الاجتماعي من أهم وأنجع الوسائل التي يعالج بها أهم القضايا التي عرفتها الإنسانية على مدى تاريخها، ألا وهي القضاء على الفقر والتخفيف من معاناة الضعفاء ومجابهة ما يطرأ على المجتمع من كوارث قد تؤدي به إلى ما يسمى بالمجاعة.

تعريف التكافل الاجتماعي:

المقصود بالتكافل الاجتماعي أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلًا في مجتمعه يمده بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد، ودفع الأضرار، ثم في المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة[١].

ولعل أبلغ تعبير جامع لمعنى التكافل الاجتماعي قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[٢].

وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٣].

---

[١] انظر التكافل الاجتماعي في الإسلام: الإمام محمد أبو زهرة، ص (٧).

[٢] خ (١٢١/٣) – (٤٦) كتاب المظالم والغصب – باب نصر المظلوم – رقم (٢٤٤٦).

م (١٩٩٩/٤) – (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب – باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم – رقم (٢٥٨٥/٦٥).

[٣] خ (١٠/٨) – (٧٨) كتاب الأدب – باب رحمة الناس والبهائم – رقم (٦٠١١).

م (١٩٩٩/٤) – (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب – (١٧) باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم – رقم (٢٥٨٦/٦٦).

فمثل هذه الأحاديث تدل على أن المسلمين كالجسد الواحد، فلا تتحقق سعادة الفرد في الإسلام إلا بسعادة الجماعة، فكل فرد يُكَمِّلُ الفرد الآخر لإقامة هذا البناء الاجتماعي الواحد.

ويهدف التكافل الاجتماعي في مغزاه ومؤداه إلى أن يحس كل واحد في المجتمع بأن عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أداؤها، وأنه إن تقاصر في أدائها، فقد يؤدي ذلك إلى انهيار البناء عليه وعلى غيره، وأن للفرد حقوقًا في هذا المجتمع يجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذي حق حقه من غير تقصير، ولا إهمال وأن يدفعوا الضرر عن الضعفاء، ويسدوا خلل العاجزين، وإن لم يحدث ذلك تآكلت لبنات البناء، ولابد أن يخر منهارًا ولو بعد حين[١].

«وهكذا تنمي الشريعة في نفس كل مسلم الشعور بالمسئولية الجماعية، وتدفعه إلى المشاركة العملية بباعث المشاركة الوجدانية أو الإيمان الذي يربطه بإخوته في العقيدة برباط متين لا تنفصم عراه، فيتضامن جميع الأفراد في سبيل سعادة المجموع، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ [المائدة:٢]»[٢].

ولقد بيّن الله سبحانه وتعالى أساس التكافل الاجتماعي وهو معاونة الفقير والضعيف ودفع حاجته بالمال؛ ولذا قال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ ﴾ [البقرة:٢١٥] لقد سألوا عن نوع ما ينفقون ومقداره بعد أن سمعوا الدعوة إليه، ولكن الله سبحانه وتعالى قال في الإجابة عن هذا السؤال ﴿ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ فقد سألوا عن النوع فأجيبوا عن المصرِف، وعلى حد تعبير علماء الاقتصاد سألوا عن وعاء الفريضة فأجيبوا بموضع صرفها، ليعلموا أن المطلوب هو سد حاجة هؤلاء؛ والنوع الذي يسد حاجتهم مطلوب إنفاقه.

فإن كانوا محتاجين إلى ثياب يكسون، وإن كانوا محتاجين إلى طعام يطعمون، وإن كانوا محتاجين إلى مأوى يؤوَوْن.

---

[١] انظر التكافل الاجتماعي في الإسلام، للإمام أبي زهرة، ص (٧).

[٢] الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة مصطفى الزحيلي، الطبعة الرابعة، دار الفكر، دمشق، سوريا (٥٠٠٩/٧).

وفي هذه الإجابة فوق ذلك تصريح بحق هؤلاء على ذويهم وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه، وهو أن يمكنوا من العيش طاعمين كاسين آوين مطمئنين، وأي مقدار ينفق في ذلك من حقهم على ذويهم وعلى الناس.

وإن ذلك حق واجب على كل من عنده يسار بالنسبة لهم، واليسار يفهم من قوله تعالى: ﴿ **مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ** ﴾ فكلمة خير تطلق بالنسبة للمال الوفير منه لا على القليل.

والترتيب في الآية الكريمة لموضع الإنفاق يشير بلا شك بأولوية بعض المحتاجين على بعض، فيسد حاجة الأبوين، ثم يسد حاجة الأقربين، ثم يسد حاجة المحتاجين من غير أسرته[١].

ولقد أشار القرآن الكريم إلى شُعبتي التكافل الاجتماعي وأهميته، ودعا إلى القيام بهما:

أما الشعبة الأولى: فهي الجانب الأدبي من التكافل، وهي تبرز أهمية تكافل المسلمين وتعاونهم على إحقاق الخير وتأييده ونصرته وكسر شوكة الباطل، إنه دعامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول تعالى: ﴿ **وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة:٧١].

وأما الشعبة الثانية: في التكافل الاجتماعي: فشعبة مادية اقتصادية تقع مسئوليتها على عاتق الفرد والدولة معًا[٢].

وهي التي تعنينا في بحثنا هذا إذ إن الجانب الاقتصادي في التكافل الاجتماعي – المتمثل في الزكاة والصدقات – هو ما يُدرأ به خطر الجوع والمجاعات.

صور من التكافل الاجتماعي في الإسلام:

وقد ضرب الإسلام أروع الصور في التكافل الاجتماعي متمثلًا ذلك في فعله ﷺ وصحابته الكرام؛ والأمثلة على ذلك كثيرة تزخر بها كتب السنة والسيرة النبوية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

---

[١] انظر زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، (٦٧٧/٢، ٦٧٨).

[٢] انظر مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، الطبعة الثالثة (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، دار القلم، دمشق (٢٤٦/١).

عندما هاجر المؤمنون من مكة إلى المدينة فرارًا بدينهم تاركين أموالهم وأهليهم وأوطانهم، فوصلوا إلى المدينة لا يملكون شيئًا فلم يكن بد من التكافل الاجتماعي، ولذلك «آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على المواساة، وكان الأنصار يتسابقون في مؤاخاة المهاجرين، حتى يؤول الأمر إلى الاقتراع وكانوا يحكمونهم في بيوتهم وأثاثهم وأموالهم وسلاحهم، ويؤثرون على أنفسهم.

وقد يقول الأنصاري[١] للمهاجر[٢]: انظر شطر مالي فخذه، وتحتي امرأتان، فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها، ويقول المهاجر: بارك الله لك في أهلك ومالك، ودلني على السوق، فكان من الأنصاري الإيثار، ومن المهاجر التعفف وعزة النفس[٣].

وكان هذا الإخاء أساسًا لإخاء إسلامي عالمي فريد من نوعه، ومقدمة لنهضة أمة ذات دعوة ورسالة تنطلق لصياغة عالم جديد، قائم على عقائد صحيحة معينة وأهداف صالحة منقذة للعالم من الشقاء والتناحر والانتحار، وعلى علاقات جديدة من الإيمان والإخاء المعنوي والعمل المشترك[٤].

٢- النهي عن إدخار لحوم الأضاحي في أول الإسلام:

نهى رسول الله ﷺ عن إدخار لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام في أول الإسلام وذلك عندما نزل بالمسلمين شدة في وقت من الأوقات وكثر المحتاجون، فقال ﷺ: «من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة، وبقي في بيته منه شيء»[٥].

---

[١] هو الصحابي الجليل سعد بن الربيع الأنصاري ﷺ.

[٢] هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ﷺ.

[٣] خ (٣١/٥) – (٦٣) كتاب مناقب الأنصار – باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، رقم (٣٧٨٠) ورقم (٣٧٨١).

[٤] السيرة النبوية: علي أبو الحسن بن عبد الحي الندوي (ت:١٤٢٠هـ)، الطبعة الثانية عشرة، ١٤٢٥هـ، دار ابن كثير، دمشق (٢٨١/١، ٢٨٢).

[٥] خ (١٠٣/٧) – كتاب الأضاحي – باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها رقم (٥٥٦٩).

م (١٥٦٣/٣) – كتاب الأضاحي – باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث في أول الإسلام.

فقد كان المسلمون حينئذ يدخرون ما يزيد عن حاجتهم في ثلاثة أيام فأمروا في عام شدة أن لا يمسكوا منها، وأن لا يدخروا منها إلا ما يكفيهم ثلاثة أيام ثم يتصدقوا بالباقي، وامتثل المسلمون لأمر رسول الله ﷺ وبعد عام قالوا: يا رسول الله نفعل كما فعلنا عام الماضي؟ قال: «كلوا وأطعموا وادخروا، فإن ذلك العام كان بالناس جَهْد[١] فأردت أن تعينوا فيها»[٢].

وقال ﷺ في رواية أخرى مبينًا سبب النهي: «نهيت أن تؤكل لحوم الأضاحي يا بعد ثلاث، فقال: إنما نهيتكم من أجل الدَّافَّة[٣] التي دَفَّتْ فكلوا وادخِّروا وتصدقوا»[٤].

فبين ﷺ أن مقصوده من نهي الصحابة عن ادخار لحوم الأضاحي في تلك السنة إنما كان لدفعهم إلى التصدق بما هو زائد عن حاجاتهم اليومية على ضعفاء الأعراب الذين جاءوا إلى المدينة هذا العام

رقم (١٩٧٤/٣٤).

[١] جَهْد: الجهد بفتح الجيم وهو المشقة والفاقة، النهاية في غريب الحديث. مادة: جهد، وانظر شرح النووي على مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٣٣/١٣).

[٢] هذا تتمة الحديث السابق الذي قبله.

المراد بقوله ﷺ: «أن تعينوا فيها»: أي من الإعانة، والضمير في «تعينوا فيها» للمشقة المفهومة من الجَهْد أو من الشدة أو من السَّنَة لأنها سبب الجَهْد. انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت (١٣٧٩هـ) (٢٦/١٠).

[٣] الدافة: القوم يسيرون جماعة سيرًا ليس بالشديد. فقال: هم يدفُّون دفيفًا. والدافة: قوم من الأعراب يَرِدُن المِصْر، يريد أنهم قوم قدموا المدينة عند الأضحى فنهاهم عن ادخار لحوم الأضاحي ليفرقوها ويتصدقوا بها فينتفع أولئك القادمون بها. النهاية في غريب الحديث مادة: دفف.

والمراد هنا من ورد من ضعفاء الأعراب من للمواساة. شرح النووي على مسلم (١٣٠/١٣).

[٤] م (١٥٦١/٣) – (٣٥) كتاب الأضاحي – (٥) باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام. رقم (١٩٧١/٢٨).

لمواساتهم وذلك «لتحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع بإطعام الجائعين وسد خلة المحتاجين، وهو صريح في أن مساعدة المحتاجين، وتحقيق التكافل الاجتماعي مقصد من مقاصد الشريعة ينبغي السعي إلى تحقيقه، ولو كان ذلك بفرض قيود على حقوق أصحاب الفضل ليعودوا بفضلهم على المحتاجين.

وأنه لولي الأمر أن يفعل ذلك شريطة أن يكون ذلك بالمعروف وبما لا يخرق القواعد والأحكام الشرعية الأخرى التي تحفظ على الناس أموالهم وحقوقهم»[١].

هذا جزء من كل وغيض من فيض فالأمثلة على التكافل الاجتماعي في الإسلام كثيرة لا يتسع المقام هنا لذكرها، ولذلك اكتفينا بهذين المثالين فقط.

ومن الأمثلة الكبرى أيضًا على التكافل الاجتماعي في الإسلام تشريع الزكاة الذي هو ركن أساسي من أركان الدين وسنعالج ذلك في كيفية تحقيق التكافل الاجتماعي.

[١] طرق الكشف عن مصادر التشريع، د. نعمان جغيم، الطبعة الأولى (١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن (١/١٥٥، ١٥٦).

المبحث الثاني: مسئولية الفرد والدولة في التكافل الاجتماعي

أولًا: مسئولية الفرد في التكافل الاجتماعي

التكافل الاجتماعي مسئولية الفرد والدولة معًا، فمسئولية الفرد في ظل التكافل الاجتماعي تتمثل في مد يد العون للمحتاج، وإغاثة الملهوف، وتفريج كربة المكروب، وإطعام الجائع.

وقد حث القرآن الكريم على هذا التعاون والتكافل المادي واستنهض الهمم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

وحث عليه رسول الله ﷺ في أن كل فرد يملك فضلًا لابد أن يبذله إلى ما هو في حاجة إليه فقال ﷺ: «من كان معه فضل ظهر[١] فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له – قال – أبو سعيد الخدري راوي الحديث – فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[٢].

وهكذا كل من كان عنده نعمة فوق حاجته فليعطها إلى من له حاجة إليها؛ لأن الإسلام دين التعاطف والمواساة، والترابط بين الأغنياء والفقراء، دين التكافل الاجتماعي ولذلك تقع فيه مسئولية الجائعين على الأغنياء.

---

[١] فضل ظهر: أي دابة زائدة على حاجة صاحبها. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ(الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة- الرياض (٢٦٨١/٨).

[٢] م (١٣٥٤/٣) – (٣١) كتاب اللقطة – (٤) باب استحباب المؤاساة بفضول المال. رقم (١٧٢٨/١٨).

دين فرض للفقراء حقًّا في مال الأغنياء. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [المعارج:٢٤-٢٥].

ثانيًا: مسئولية الدولة في التكافل الاجتماعي:

ومسئولية الدولة في تحقيق التكافل الاجتماعي مسئولية مهمة وشاقة فهي المسئولة عن الطبقة الفقيرة التي لا تجد مالًا، أو العاجزة التي لا تستطيع العمل، أو المشردة التي لا تجد المُعِيل أو المُعَطَّلة التي لا تجد الكسب[١].

فالحاكم الذي يدير الدولة مسئول أمام الله سبحانه وتعالى عن رعاياه، قال رسول الله ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ أم ضيع»[٢]، وقال ﷺ أيضًا: «الإمام راع ومسئول عن رعيته»[٣].

---

[١] انظر التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبد الله ناصح علوان، الطبعة السابعة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر (٢٠٠٧م)، ص (٧٢).

[٢] **إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم.**

س في الكبرى (٢٦٧/٨) – (٥١) كتاب عشرة النساء – مسألة كل راع عما استرعى. رقم (٩١٢٩)، الأحاديث المختارة للضياء المقدسي (٥١/٧)، صحيح ابن حبان (٣٤٤/١٠) – كتاب السير، باب ذكر الإخبار بسؤال الله جل وعلا كل من استرعى رعية عن رعيته. رقم (٤٤٩٢).

[٣] خ (٥/٢) – (١١) كتاب الجمعة – باب الجمعة في القرى والمدن. رقم (٨٩٣).

م (١٤٥٩/٣) – (٣٣) كتاب الإمارة – باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر – رقم (١٨٢٩/٢٠).

موارد الدولة المالية في التكافل الاجتماعي:

وتتركز مسئولية الدولة في تأمين موارد المال، وتوزيعه على مستحقيه.

ويمكن أن نحصر الموارد المالية التي تقوم الدولة على تحقيقها وتؤمن من خلالها للمحتاجين حاجتهم، وللفقراء كفايتهم.

١- **جمع الزكاة:** فحين تقوم الدولة على جمع الزكاة بنسبة العشر ونصف العشر وربع العشر والخمس حسب أنواع الزكاة وتوزيعها في مصارفها التي حددها الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿ ۞ **إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة:٦٠].

فهي تؤمن بذلك موردًا ضخمًا وثروة طائلة لها أكبر الأثر في محاربة الفقر، والقضاء على الجوع وخاصة أننا أدركنا أن أول مصرف هو للفقراء والمساكين وهو الدائم دون المصارف الأخرى على العوز واستئصال جذور الفاقة والحرمان حتى أغنت جميع أفراد المجتمع.

وقد نجحت تجربة الدولة في الزكاة في العصور الإسلامية الزاهرة.

قال يحي بن سعد: بعثني الخليفة عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية فاقتضيتها، وطلبت فقراء نعطيها لهم، فلم نجد بها فقيرًا ولم نجد من يأخذها مني، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس، فاشتريت بها رقابًا – أي عبيدًا – فأعتقتهم[١].

ومن مسئولية الدولة:

٢- **الاستفادة من الوقف الخيري:** إن كثيرًا من الواقفين وقفوا الأوقاف الخيرية، ليُنْفَق ريعُها على الضعفاء والعجزة والمستحقين، وقصدوا من ذلك استمرار الثواب، وإيصال الخير للمحتاجين، ولا يخفى أن الدولة إذا أحسنت الاستفادة من هذا المورد الكبير، ركَّزت في المجتمع دعائم التكافل،

---

[١] سيرة عمر بن عبد العزيز، عبد الله بن عبد الحكم، أبو محمد المصري (ت/٢١٤هـ) تحقيق: أحمد عبيد، الطبعة السادسة (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان. (٦٥/١).

وأَمَّنت للفقراء والعجزة الأرامل ما يسد عوزهم، ويصون كرامتهم ويحفظهم من الفاقة وذل السؤال.

ومن مسئولية الدولة:

٣- الاستفادة من وسائل التكافل الفردي: من الموارد المالية التي تساعد الدولة على الصرف على الفقراء وإعانتهم مورد الوصايا، والنذور، والكفارات، والصدقات التطوعية، فلذلك يجب على الدولة أن تنشئ مؤسسات لاستثمار هذه الموارد وهدفها تأمين، وسد حاجة الفقراء، والمعوزين وإذا لم تكفِ كل هذه الموارد بحاجة هؤلاء **فتلجأ الدولة إلى الموارد الرابع وهو:**

٤- الاستفادة من أموال الأغنياء عند الحاجة: فالشريعة الغراء تقرر أن البلاد إذا أصبحت مهددة بأخطار وكوارث مثل الحرب وكوارث الفيضانات والمجاعات والزلازل، ولم يكن في خزينة الدولة ما يكفي لدرء كل هذه الأخطار، وجب على الدولة أن تأخذ من أموال الأغنياء بقدر ما يدفع الخطر، ويحقق المصلحة[١] إذ «يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام»[٢].

قال الإمام ابن حزم رحمه الله: «وفرض على الأغنياء في أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يَكُنُّهم من المطر، والصيف والشمس وعيون المارّة»[٣].

وحينما طُعِنَ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لم تنسه الدماء الطاهرة المراقة ظلمًا وعدوانًا آلام شعبه الذي فيه الفقر والحاجة، ولم يذهله قرب الأجل من أن يتفوه بكلمات العدل الاجتماعي والرحمة الإنسانية: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء

---

[١] انظر التكافل الاجتماعي في الإسلام: عبد الله ناصح علوان ص (٧٦، ٧٧).

[٢] الأشباه والنظائر، زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري (ت: ٩٧٠هـ)، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (٧٤/١).

[٣] المحلى لابن حزم (٢٨١/٤).

المهاجرين»[١]؛ لأنه كان يعلم – حين طعن – أن فئات من الشعب في أشد ما تكون من الفقر المدقع، والحاجة الملحة، ولا يمكن للشعب أن يرتفع من الحال الذي هو فيه إلا أن يأخذ من أموال الأغنياء بقدر ما يسد الحاجة، ويحقق المصلحة، ويقضي على البؤس والحرمان والفاقة[٢].

ولما كان عام المجاعة في عهد عمر أرسل إلى ولاة الأمصار ليمدوه بالطعام والأموال، فأرسل له كل وال ما استطاع إرساله، وكان يوزع الطعام على الناس بالسواء.

ومما أثر عنه في تلك المحنة قوله: «لو لم أجد للناس ما يسعهم لأدخلت على كل أهل بيت عِدَّتهم فقاسموهم أنصاف بطونهم، حتى يأتي الله بالحَيَا، فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم»[٣]، ولكن الله كشف المحنة، وعم الرخاء بعد ذلك البلاد.

---

[١] المصدر السابق (٤/٢٨٣) وقال ابن حزم: «هذا إسناد في غاية الصحة والجمال».

[٢] انظر التكافل الاجتماعي في الإسلام لعبد الله ناصح علوان، ص (٧٧، ٧٨).

[٣] أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، دار الفكر العربي، بيروت. (١٠/٣٩٥-٣٩٦).

والطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ودار الكتب العلمية، بيروت. (٣/٢٤٠).

المبحث الثالث: كيفية تحقيق التكافل الاجتماعي في الإسلام

يتحقق التكافل الاجتماعي الذي هو عامل رئيس في درء خطر المجاعة عن طريق الإنفاق في سبيل الله، وإنفاق المال له صورتان: **صورة الزكاة المفروضة**: وهي إعطاء المال على كيفية مخصوصة، وبقدر معين.

وصورة صدقة التطوع: وهي إعطاء المال من غير تقييد بمقدار معين، ولا تحديد بامتلاك نصاب، بل ترك تقييده وتحديده لحال الأمة وأفرادها، فإذا أعطى المال بصورتيه، أمكننا القضاء على ظاهرة الفقر[١]، وبالتالي المجاعة – إذ إن الفقر سبب رئيس من أسبابها.

ولما كان نظام التكافل الاجتماعي أشمل وأوسع كثيرًا من الزكاة وصدقة التطوع إلا أنهما خطان رئيسان وعاملان أساسيان في التكافل الاجتماعي عامة وفي درء خطر المجاعة خاصة، ولذلك سيركز البحث على هذين الخطين من خطوط التكافل الاجتماعي، والذي يتمثل في عدة خطوط تشمل جميع فروع الحياة كلها، ونواحي الارتباطات البشرية بأكملها.

أولًا: الزكاة.

الزكاة فريضة من فرائض الإسلام، وركن من أركان الدين شرعت لإغناء الفقراء والأخذ بيد الضعفاء، وتحقيقًا لمبدأ التكافل الاجتماعي؛ لأن الإسلام يحض على التعاون والمشاركة بين أفراد المجتمع في إقالة العثرات، ودفع حاجة المحتاجين.

والزكاة تعتبر من هذه الناحية أول مؤسسة للتكافل الاجتماعي في التاريخ.

أهمية ودور الزكاة في التكافل الاجتماعي:

وتعد الزكاة من أهم مصادر التمويل المالي في الدولة الإسلامية، وهي تحقق الشعار «الكفاية في الإنتاج والعدالة في التوزيع، إذ تؤدي إلى تنمية المال مما يجعل كفاية الإنتاج أمرًا ضروريًّا وواجبًا

[١] انظر التفسير المنير، وهبة الزحيلي (١٠٢/٢).

شرعيًّا[١].

يقول رسول الله ﷺ: «اتّجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة»[٢].

كما أنها تؤدي إلى توزيع عادل في المجتمع مما يقضي على البطالة والفقر والفوارق الطبيعية الفاحشة – من ناحية اقتصادية – ويؤدي إلى إيجاد مجتمع متكافل متضامن آمن من الناحية الغذائية.

وفي هذا الجانب يقول رسول الله ﷺ حينما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن (ادْعُهُم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك... فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»[٣].

مقادير الزكاة:

مست الحاجة إلى تعيين مقادير الزكاة إذ لولا التقدير لَفَرَّطَ المُفَرِّط ولاعتدى المعتدي، ويجب أن تكون غير يسيرة، حتى تكون مجدية، ولا ثقيلة يَعسر عليهم أداؤها، وإلى تعيين المدة التي تجني فيها الزكوات، يجب ألا تكون قصيرة يسرع دورانها، فتعسر إقامتها فيها، وألا تكون طويلة لاتبخع من بُخلهم، ولا تدر على المحتاجين إلا بعد انتظار شديد[٤].

---

[١] نظام الإدارة في الإسلام، دراسة مقارنة بالنظم المعاصرة، د. قطب محمد قطب طبلية، دار الفكر العربي بالقاهرة (١٩٨٥م)، ص (٣١٣)، وانظر التخطيط الاقتصادي في الإسلام، ص (٢١).

[٢] موطأ مالك (٢٥١/١) – (١٧) كتاب الزكاة – باب زكاة أموال اليتامى والتجارة لهم فيها رقم (١٢). ت (٢٥/٢) – (٥) كتاب الزكاة – (١٥) باب ما جاء في زكاة مال اليتيم رقم (٦٤١) مرفوعًا.

قال الترمذي: «وفي إسناده مقال» وذكر أن أكثر أهل العلم يحتجون به.

مصنف عبد الرزاق (٦٨/٤) – (٨) كتاب الزكاة – باب مسألة مال اليتيم والالتماس فيه وإعطاء زكاته. رقم (٦٩٨٩) وإسناده صحيح. المعجم الأوسط (٢٦٤/٤) رقم (٤١٥٢).

والحديث يرتفع بمجموع طرقه إلى الحسن لغيره.

[٣] خ (١٠٤/٢) – (١٠٤/٢) – (٢٤) كتاب الزكاة – باب وجوب الزكاة، رقم (١٣٩٥).

[٤] حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ«الشاه ولي الدين الدهلوي» (ت: ١١٧٦هـ)، تحقيق: سيد سابق،

مصارف الزكاة:

وحدد القرآن الكريم مصارف الزكاة تحديدًا دقيقًا لغاية معينة، وهي علاج الفقر، ومواساة الضعفاء والعاجزين، وجاء هذا التحديد في الآية الكريمة ﴿ **۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٦٠].

ونلحظ أن الآية الكريمة ذكرت مصارف الزكاة، ولكنها قدمت الفقراء والمساكين مما يدل على أنهم أهم من غيرهم وذلك؛ لأن هذا المصرف دائم في المجتمع فقد توجد المصارف الأخرى أو لا توجد؛ ولأن رسول الله ﷺ عندما ذكر الزكاة لمعاذ بن جبل لم يذكر توزيعها إلا على الفقراء والمساكين «تؤخذ من فقرائهم وترد على أغنائهم» ولم يذكر شيئًا آخر.

ولذلك سنعرف بهما تعريفًا موجزًا.

أولًا: الفقراء:

الفقير هو من ليس له مال ولا كسب يقع موقعًا من كفايته أو حاجته[١]، وقيل الفقير من له شيء دون النصاب أو قدر النصاب ولكنه غير تام[٢].

ثانيًا: المساكين.

المسكين هو الذي يقدر على كسب ما يسد من حاجته، ولكن لا تكفيه الكفاية اللائقة بحاله من

الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، دار الجيل، بيروت، لبنان. (٦١/٢).

[١] عمدة السالك وعدة الناسك، أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله الرومي، ابن النقيب الشافعي (ت: ٧٦٩هـ)، الطبعة الأولى (١٩٨٢م) الشؤون الدينية، قطر. (١٠٩/١، ١١٠)، والمغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م). (٤٧٠/٦).

[٢] فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام (ت: ٨٦١هـ)، دار الفكر. (٢٦١/٢).

مطعم وملبس ومسكن[١].

نقل أموال الزكاة:

اتفق الفقهاء على أن أهل كل بلد أولى بصدقتهم من غيرهم مستدلين بحديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ لما بعث معاذًا إلى أهل اليمن، قال له: «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»[٢].

كما اتفق الفقهاء على مشروعية نقل الزكاة من موضعها إذا استغنى أهل ذلك الموضع عن الزكاة كلها أو بعضها[٣].

نقل الزكاة إلى أماكن المجاعات:

ويتضح مما سبق أن الأصل توزيع الزكاة في بلد جمعها؛ وذلك «لأن المقصود إغناء الفقراء بها، فإذا

---

[١] فتح القدير (٢٦١/٢)، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت: ١٢٣٠هـ)، دار الفكر (٤٩٢/٢)، وعمدة السالك وعدة الناسك (١١٠/١).

وحاشية البجيري على شرح المنهج، سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي (ت: ١٢٢١هـ)، مطبعة الحلبي (١٣٦٩هـ-١٩٥٠م)، (٣٠٩/٣)، والمغني (٤٧٠/٦).

[٢] تقدم تخريجه. انظر ص (٥٠) من البحث.

[٣] المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة، بيروت (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، (٣٧/٣)، النهاية في شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني (ت: ٥٩٣هـ)، تحقيق: طلال يوسف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (١١٢/١)، وحاشية الدسوقي (٥٠١/١)، وفتح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد عليش أبو عبد الله المالكي (ت: ١٢٩٩هـ)، دار الفكر، بيروت (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م). (٩٥/٢)، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧هـ)، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، دار الكتب العلمية. (١٩١/٤)، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي الحنبلي (ت: ١٠٥١هـ)، دار الكتب العلمية. (٢٦٤/٢)، والمغني (٥٠١/٢).

نُقِلت من بلدها أفضى ذلك إلى بقاء فقراء ذلك البلد محتاجين»[١].

ولما في ذلك من تحقيق التكافل الاجتماعي، ودفع الحقد والضغينة بين أبناء البلد الواحد: غنيهم وفقيرهم، ولما فيه من تحقيق الاكتفاء الذاتي في كل بلد فلا يحتاجون إلى غيرهم.

ولكن قد تقتضي المصلحة الشرعية والضرورة الخروج عن الأصل ونقل أموال الزكاة إلى بلد آخر، ومن صور تلك المصلحة التي يجوز نقل الزكاة لأجلها: أن يكون فقراء البلد الآخر أشد حاجة.

وقد نص على ذلك الحنفية[٢] والمالكية[٣]، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية[٤].

قال القُدُوري: «ويكره نقل الزكاة من بلد إلى بلد، وإنما تصرف صدقة كل قوم فيهم إلا أن ينقلها الإنسان إلى قرابته أو قوم هم أحوج إليها من أهل بلده»[٥].

وكذلك ذهب المالكية فقالوا: «يُنْدب للمتولي تفرقةُ الزكاة إمامًا أو مالكًا إيثار المضطر على غيره من البلدان والأصناف على بعضها[٦]»[٧].

---

[١] المغني (٥٠١/٢).

[٢] الجوهرة النيرة، أبو بكر بن علي بن محمد الزبيدي اليمني الحنفي (ت: ٨٠٠هـ)، الطبعة الأولى (١٣٢٢هـ)، المطبعة الخيرية. (١٣١/١).

[٣] حاشية الدسوقي (٥٠١/١)، وشرح مختصر خليل للخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت. (٢٢٠/٢)، وشرح مختصر خليل (٢٢٠/٢).

[٤] الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت: ٨٨٥هـ)، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي. (٢٠١/٣).

[٥] الجوهرة النيرة (١٣١/١، ١٣٢).

[٦] قوله: (على بعضها) يعني أن يقدم بعضها على بعضها، بأن يقدم هذه البلد على هذه البلد ولو كانا من صنف واحد: فقراء أو مساكين، ويقدم صنف المساكين على صنف الفقراء، والمراد بالاضطرار شدة الاحتياج: حاشية العدوي على شرح مختصر خليل، للخرشي (٢٢٠/٢).

[٧] شرح مختصر خليل للخرشي (٢٢٠/٢).

وقد ورد في القرار (٥/هـ) للمؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية «أن الزكاة تعتبر أساسًا للتكافل الاجتماعي في البلاد الإسلامية كلها، فإن الأصل الذي ثبت بالسنة وعمل الخلفاء هو البدء في صرف الزكاة للمستحقين من أهل المنطقة التي جمعت منها، ثم ينقل ما فاض عن الكفاية إلى مدينة أخرى باستثناء حالات المجاعة والكوارث والعوز الشديد، فتنقل الزكاة إلى من هم أحوج منها، وهذا على النطاق الفردي والجماعي، كما يجوز على النطاق الفردي نقلها إلى المستحقين من قرابة المزكي في غير منطقته»[١]. حتى تكون صدقة وصلة رحم.

ثانيًا: الصدقات التطوعية:

مما لا شك فيه إن من أفضل أنواع البِر في سني الشدة وأيام المجاعة الصدقات التطوعية؛ إذ تعد هي والزكاة ركنان أساسيان من أركان التكافل الاجتماعي، والذي يعد هو بدوره وسيلة من وسائل درء خطر المجاعة.

والمراد بالصدقة كما يقول الراغب الأصفهاني: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة، لكن اسم الصدقة في الأصل يُقال: للتطوع بها، والزكاة تقال: للواجب[٢].

يقول الشربيني الخطيب: صدقة التطوع هي المرادة عند الإطلاق غالبًا[٣]، ويفهم هذا من كلام سائر الفقهاء أيضًا.

أهمية ودور الصدقات التطوعية في التكافل الاجتماعي:

---

[١] الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي (٧٩٢٨/١٠).

[٢] المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداوي، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ)، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت. (٤٨٠/١)، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية. مادة: صدق.

[٣] مغني المحتاج (١٩٤/٤).

تعد الصدقات التطوعية بابًا عظيمًا من أبواب البر ووسيلة مهمة من وسائل التكافل الاجتماعية حيث تعمل على علاج مشكلة الفقر الذي يؤدي إلى حدوث المجاعات.

فهي تعمل على تفريج كربات الفقراء والمساكين والمحرومين والضعفاء، وبالتالي فإن لها آثارًا إيجابية على المجتمع وبنائه، حيث تعمل على تقوية أواصره وتثبيت دعائمه، والعمل على بث روح التعاون، والتواصل الاجتماعي بين أفراده.

فالغني عندما يشعر بحاجة أخيه الفقير فيمد له يد العون ليقضيها له، فإنه بذلك يترك أثرًا عظيمًا في نفسه ووجدانه.

وإذا كانت فريضة الزكاة تعمل على خلق مجتمعات يسودها الرحمة والإنسانية والتكافل الاجتماعي، فإن الصدقات التطوعية تسهم في خلق مجتمعات أكثر رحمة وإنسانية حيث تتزايد أعداد الفقراء والمحتاجين والمكروبين، وهؤلاء قد تعجز أموال الزكاة في كثير من الأحيان عن سد احتياجاتهم – وهنا تأتي دور الصدقات لتدرء عن المجتمع خطر الجوع وحدوث المجاعات.

أهمية الصدقات في الإسلام:

ولذلك فقد أوسع الله تعالى مقام الصدقات: بيانًا وترغيبًا وزجرًا بأساليب مختلفة وتفنُّنات بديعة فنبهنا بذلك إلى شدة عناية الإسلام بالإنفاق في وجوه البر والمعونة.

«وكيف لا تكون كذلك وقوام الأمة دوران أموالها، وأن من أكبر مقاصد الشريعة الانتفاع بالثروة العامة بين أفراد الأمة على وجوه جامعة بين رعي المنفعة العامة ورعي الوجدان الخاص، وذلك بمراعاة العدل مع الذي كَدَّ لجمع المال وكسبه، ومراعاة الإحسان للذي بَطَّأ به جُهده، وهذا المقصد من أشرف المقاصد التشريعية»[1].

هذا علاوة على ما أشرنا إليه سابقًا من أن الزكاة سنوية تدفع كل عام، ولاشك أنه قد تطرأ نوائب للفقير يحتاج معها إلى مال بعد أن أنفق أموال الزكاة، فالصدقات التطوعية: كالزيت الذي يمد

[1] التحرير والتنوير (٣/٤٤، ٤٥).

الفتيل دائمًا بالضوء فيضيء ويجعل التفاعل دائمًا بين الغني والفقير على مدار العام فتكون العلاقة مستمرة بينهما على طريق التكافل الاجتماعي.

حث القرآن الكريم على الصدقات التطوعية:

وحث القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة على الصدقات وحدد فئات من الناس هم أحوج إلى الإحسان والمواساة، ففي الآية التي تعدد أعمال البر يقول سبحانه وتعالى ﴿ **وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ** ﴾ [البقرة:١٧٧] فتنصيصه على الزكاة يدل على أن المراد بإتيان المال من أول الآية الصدقات التطوعية وعندما وصف الأبرار جعل من خصائصهم إطعام المحتاجين فقال: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ [الإنسان:٨].

ونجد القرآن أطلق كلمة العقبة التي تحول بين الإنسان وكونه من أصحاب اليمين على عتق الرقيق أو إطعام اليتيم والمسكين ﴿ **فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ * أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ** ﴾ [البلد:١١-١٨].

ومن أجل تحقيق التكافل الاجتماعي عن طريق الصدقات سلك القرآن الكريم في الحث على البذل والإنفاق مسلكًا عجيبًا واتخذ أسلوبًا حكيمًا حيث قرر أن المال مال الله ﴿ **وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ** ﴾ [النور:٣٣]، وأنه منحة الله لعباده رزقهم بها واستخلفهم عليها وكلفهم بالإنفاق منها ﴿ **ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ** ﴾ [الحديد:٧]، وأن الإنسان نائب عن الله في الإشراف على هذا المال، وحفظه، وإنفاقه فيما أمر الله به، وإن هذا الإنفاق لن ينقص من حاله شيئًا بل سيخلف الله عليه ما أنفقه ﴿ **وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ** ﴾ [سبأ:٣٩]، وأن من يمتنع عن الإنفاق فقد ألقى بنفسه إلى الهلاك ﴿ **وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾ [البقرة:١٩٥].

حثت السنة النبوية على الصدقات:

«وحث رسول الله ﷺ على الصدقات ورغب فيها أيضًا فقال: «من تصدق بِعِدْل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يُربي أحدكم فَلُوَّهُ[١]، حتى تكون مثل الجبل»[٢].

وقد كان رسول الله ﷺ كثير النفقات والصدقات على الفقراء والمساكين والرعاية لأمورهم، وعندما شكت إليه ابنته فاطمة نَصَبها من أعمال البيت، وطلبت إليه أن يُخْدِمَهَا خادمًا فرفض وقال: «لا أعطيكم وأَدَعُ أهل الصفة تلوي بطونهم من الجوع» وقال: مرة: «لا أُخْدِمُكما[٣] وأدع أهل الصفة تطوي»[٤].

وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لو كان لي مثل أُحُدٍ ذهبًا، لسرني أن لا تمر عليَّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيئًا أرصده لدين»[٥].

هكذا كان رسول الله ﷺ كان أجود بالخير على الناس من الريح المرسلة، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة حتى مات وليس عنده درهم ولا دينار، وقد أوقف كل أرض قد صارت إليه من الغنائم على رعاياه الضعاف من هذه الأمة؛ لأن معونة هذه الطبقات المحتاجة حماية للأمة من الفتن وحفظ لكيانها الاجتماعي[٦].

---

[١] فلوه: الفلو: المهر الصغير. النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: فلا.

[٢] خ (١٢٦/٩) – (٩٧) كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج:٤]. رقم (٧٤٣٠)، م (٧٠٢/٢) – (١٢) كتاب الزكاة – (١٩) باب قبول الصدقة من الكسب الطيب. رقم (١٠١٤/٦٣).

[٣] لا أخدمكما: أي لا أعطيكما خادمًا.

[٤] **إسناده صحيح.**

مسند أحمد (٣٤/٢) رقم (٥٩٦).

[٥] خ (٦٥/٨) – (٨١) كتاب الرقائق – باب قول النبي ﷺ: «وما أحب أن لي مثل أُحُد ذهبًا» رقم (٦٤٤٥).

[٦] التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبد العال أحمد عبد العال، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ص (١٤٩).

ويشترط في الصدقة أن يُراد بها ابتغاء وجه الله تعالى وأن تكون عن طيب نفس، وألا تكون متبوعة بالمن والأذى وإلا حُرم المتصدق ثواب الصدقة، قال تعالى: ﴿ ۞ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ** ﴾ [البقرة:٢٦٣-٢٦٤].

وأن تكون الصدقة من كسب حلال، ومن طيبات ما رزق الله. قال تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ** ﴾ [البقرة:٢٦٧].

وكل هذا حتى لا تكون في الصدقة إيذاء للفقير والمسكين، وأن يبارك الله فيها.

فضل الصدقات التطوعية في المجاعات:

وإذا كانت الصدقات مستحبة في جميع الأوقات لقوله تعالى: ﴿ **مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً** ﴾ [البقرة:٢٤٥].

إلا أن الفقهاء قد ذكروا حالات وأماكن تفضل فيها الصدقة، ويكون أجرها أكثر من غيرها: ومن هذه الحالات والأماكن:

صدقة السر: فهي أفضل من صدقة العلانية لقوله تعالى: ﴿ **إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ** ﴾ [البقرة:٢٧١].

ولقوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله – وذكر منهم – رجلًا تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[(١)].

وكذلك الصدقة في شهر رمضان أفضل من غيره؛ لأن الحسنات تضاعف فيه؛ ولأن فيه إعانة على أداء الصوم المفروض.

---

(١) خ (١١١/٢) – (٣٤) كتاب الزكاة – باب الصدقة باليمين . رقم (١٤٢٣).

م (٧١٥/٢) – (١٢) كتاب الزكاة – (٣٠) باب فضل إخفاء الصدقة. رقم (١٠٣/٩١).

قال الشربيني الخطيب: «دفع صدقة التطوع في رمضان أفضل من دفعها في غيره»[١] لقوله ﷺ عندما سئل أي الصدقة أفضل؟ قال: صدقة في رمضان[٢].

ولأن الفقراء فيه يضعفون ويعجزون عن الكسب بسبب الصوم، وتتأكد الصدقة أيضًا «في الأيام الفاضلة كعشر ذي الحجة، وأيام العيد، وكذا في الأماكن الشريفة، كمكة والمدينة، وفي الغزو، والحج، وعند الأمور المهمة: كالكسوف والمرض والسفر»[٣].

وإذا كانت هذه هي حالات وأماكن تفضل فيها الصدقة فمما لا شك فيه أن من أفضل أوقاتها وأماكنها: أوقات الحاجات كسني الشدة وأماكن المجاعات.

قال الحنابلة: وفي أوقات الحاجة أفضل منها في غيرها[٤] لقوله تعالى: ﴿ **أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ** ﴾ [البلد: ١٤]. والمراد بذي مسْغبة أي: شدة وجوع فالساغب هو الجائع. والمسغبة: الجوع، وإضافة «ذي» إلى «المسغبة» تفيد اختصاص ذلك اليوم بالمسغبة، أي يوم مجاعة، وذلك زمن البرد وزمن القحط[٥].

ووجه تخصيص اليوم ذي المسغبة بالإطعام فيه أن الناس في زمن المجاعة يشتد شحهم بالمال خشية

---

[١] مغني المحتاج (١٩٥/٤).

[٢] **إسناده ضعيف.** فيه صدقة بن موسى.
ت (٤٢/٣) – (٥) أبواب الزكاة – باب ما جاء في فضل الصدقة. رقم (٦٦٣). قال الترمذي: «هذا حديث غريب، وصدقة بن موسى ليس عندهم بذاك القوي» انظر تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، الطبعة الأولى (١٣٢٦هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند. (٤١٨/٤) رقم (٧٣١).

[٣] مغني المحتاج (١٩٥/٤).

[٤] كشاف القناع (٩٦٢)، والمغني (١٠١/٣).

[٥] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م). (٥٣٣/٨).

امتداد زمن المجاعة والاحتياج إلى الأقوات، فالإطعام في ذلك الزمن أفضل[١].

[١] انظر التحرير والتنوير (٣٥٨/٣٠).